فن القصة القصيرة

القصة القصيرة هي جنس أدبي وهو عبارة عن سرد حكائي نثري أقصر من الرواية، وتهدف إلى تقديم حدث وحيد غالبا ضمن مدة زمنية قصيرة ومكان محدود غالبا لتعبر عن موقف أو جانب من جوانب الحياة، لا بد لسرد الحدث في القصة القصيرة ان يكون متحدا ومنسجما دون تشتيت. وغالبا ما تكون وحيدة الشخصية أو عدة شخصيات متقاربة يجمعها مكان واحد وزمان واحد على خلفية الحدث والوضع المراد الحديث عنه. الدراما في القصة القصيرة تكون غالبا قوية وكثير من القصص القصيرة تمتلك حسا كبيرا من السخرية أو دفقات مشاعرية قوية لكي تمتلك التأثير وتعوض عن حبكة الاحداث في الرواية. يزعم البعض أن تاريخ القصة القصيرة يعود إلى أزمان قديمة مثل قصص العهد القديم عن الملك داود، وسيدنا يوسف. لكن بعض النقاد يعدّ القصة القصيرة نتاج تحرر الفرد من ربقة التقاليد والمجتمع وبروز الخصائص الفردية على عكس الانماط النموذجية المتباينة في السرد القصصي القديم.

يغلب على القصة القصيرة ان يكون شخوصها مغمورين وقلما يرقون إلى البطولة والبطولية فهم من قلب الحياة حيث تشكل الحياة اليومية الموضوع الأساسي للقصة القصيرة وليست البطولات والملاحم.

ويعدُّ إدغار آلان بو من رواد القصة القصيرة الحديثة في الغرب. وقد ازدهر هذا اللون من الأدب، في أرجاء العالم المختلفة، طوال قرن مضى على أيدي موباسان حتى قيل أن القصة القصيرة (موباسان) وزولا وتورغينيف وتشيخوف وهاردي وستيفنسون، ومئات من فناني القصة القصيرة. وفي العالم العربي بلغت القصة القصيرة درجة عالية من النضج على أيدي يوسف إدريس في مصر، ومحمد بوزفور في المغرب، وزكريا تامر في سوريا

بدأت القصة العربية ، أول ما بدأت عن طريق ترجمة قصص كبار الكتاب الفرنسيين والإنجليز والروس والأمريكان ..

وكانت بعض الترجمات تتم صياغتها في قالب عربي ، ولعل من ابرز هؤلاء مصطفى لطفي المنفلوطي (١٨٧٦-١٩٢٤) ، وكتابه " العبرات " مجموعة من القصص الفرنسية المغرقة في الرومانسية ، ولكنها جاءت حديثاً مباشراً ، في أسلوب تقريري ، لا يهتم بالسياق وترابط الأحداث ، وفقدت خصائص القصة القصيرة ، ولكنها أسهمت في تهيئة المناخ ، ولفت الأذهان وترغيب القراء لهذا اللون من الأدب

بداية القصة القصيرة وأعلامها الذين شهدوا مولدها وكيف بدأت وتطورها ، في السعودية والكويت ومصر والأردن وسوريا ولبنان والمغرب واليمن والبحرين والسودان وفلسطين وغيرها من الدول العربية ...

ويذكر الباحثون في هذا المجال ، أن أول قصة عربية راعت الأصول القصصية ، بقواعدها المعروفة ، وإن كان يعيبها السطحية وتزاحم الشخصيات ، دون أن تعطي بعض الشخصيات الإضاءة الكافية والبعد النفسي المطلوب لتفسير ردود أفعالها

هي قصة " في القطار " للكاتب المصري محمد تيمور (١٨٩٢- ١٩٢١) التي نشرت في مجلة " السفور " سنة ١٩١٧

بينما هناك آراء أخرى تقول بأن أول من كتب قصة قصيرة عربية ظهرت في العصر الحديث هو اللبناني ميخائيل نعيمة، حين كتب قصة " العاقر " وقصة "سنتها الجديدة" التي نشرت في بيروت عام ١٩١٤.

ويعد محمود أحمد السيد رائداً للقصة العراقية القصيرة، فقد أصدر مجموعته (النكبات) عام ١٩٢٢ وهي أقاصيص تتسم بخصائص الرواية المكثفة حيث تتسع فيها رقعتا الزمان والمكان وتعدد الشخوص وتشعب الحدث وعدم انحصاره في زاوية معينة محددة مع امتلائها بالوعظ والإرشاد وإطلالات الرأس. وآثار الكاتب الأولى (مصير الضعفاء، في سبيل الزواج، النكبات) هي فصول مفككة وأسلوب ضعيف ووعظ مباشر بلغة مهلهلة. وقد تطور الكاتب في مرحلته الثانية في كتبه (جلال خالد، الطلائع، في ساع من الزمن) فقد قوى أسلوبه وخلت قصصه من الوعظ وقامت على الصنعة الفنية. ووصفت محاولات الكاتب أنها لا تقل عن تلك المحاولات التي وجدت عند الرواد القصصين في مصر ولبنان. ومما لا ريب فيه أن الحس الوطني الذي كان يجيش في نفس الكاتب وجد له خير متنفس في آثاره الأدبية المختلفة.

عناصر القصة القصيرة

١ - الحدث

هي مجموعة الوقائع الجزئية متناسقة في نظام خاص وسائرة نحو هدف معين وعلى خط خاص، وهناك نوع من القصص يوجه فيه القاص همه الى الحادثة ويكاد يهمل سائر العناصر، ويدعى هذا النوع (قصة الحادثة أو القصة السردية).

وفي القصة السردية تكون الحركة هي الشيء الرئيسي، أما الشخصيات فانها ترسم كيفما اتفق. فالحركة عنصر أساسي في العمل القصصي، وهي نوعان حركة عضوية، وحركة ذهنية. و الحركة العضوية تتحقق في الحوادث التي تقع، وفي سلوك الشخصيات، بذلك تعد تجسيما للحركة الذهنية التي تتمثل في تطور للفكرة العامة نحو الهدف الذي تهدف اليه القصة.

ومن القصص السردية قصص المغامرات والقصص البوليسية، وهي بمجملها

تهدف الى الامتاع والتسلية لا الى تفسير الحياة.

٢ - السرد

السرد هو نقل جزيئات الوقائع بواسطة ألفاظ تعبر عنها. ولكي يكون السرد فنيا يضاف الى نقل الوقائع ألفاظ التعبير التي توضح تلك الوقائع وتعللها وتزيدها بذلك حيوية وتشويقا كما لو قلت مثلا (ركض من خوفه ثم سقط على الأرض مستغيثا)... وهناك ثلاث طرق للسرد، الطريقة المباشرة التي يكون فيها الكاتب مؤرخا يسرد من الخارج، وطريقة السرد الذاتي التي يكتب فيها الكاتب على لسان المتكلم متلبسا لشخص أحد الأبطال، وطريقة الوثائق التي تتحقق فيها القصة عن طريق الرسائل أو اليوميات والحكايات وما الى ذلك.

٣ - البناء

هو الطريقة التي تسير عليها القصة لبلوغ هدفها، ويكون البناء فنيا اذا اعتمد طرائق التشويق وكان متلاحم الأجزاء بحيث يتكون منه ما نسميه (الوحدة الفنية) وقد تقوم وحدة السرد على شخصية البطل كما في قصص المغامرات، او تقوم على تلاحم الوقائع بحيث تتبع تصميما معينا، وتسير متساندة غير متزاحمة، وبحيث يقع كل حادث في محله مطورا ما قبله، مطلقا ما بعده، وذلك في تساوق معقول وفي تناغم بين الموضوع والواقع يوفران المتعة الأدبية.

ومما لا شك فيه أن البناء يختلف باختلاف أنواع القصص، الا أن هنالك بناء عاما بسيطا مرجعه الى مقدمة تنطوي على التعريف بما لا بد من معرفته لفهم السياق، والى عقدة تبدأ معها عملية البناء، ثم تطرأ عليها المفاجآت التي يعقدها وتخلق القلق في نفس القارئ، ثم ينمو فيها الصراع مع نمو الحركة بحيث تتأزم وتشير الى حل تزول فيه العراقيل شيئا فشيئا، وتنجلي بعده النهاية وترتاح معه النفس الى معرفة الهدف الرئيسي.

٤ ـ الشخصية

الأشخاص في القصة من أهم عناصر الحبكة، فهم الأبطال. وهم مصدر الأعمال. والكاتب يخلقهم على مسرح قصته، ينيط بهم سير العمل القصصي، فيتصرفون وفاقا لسنن الحياة، وبتصرفهم هذا يتفاعل القارئ معهم تفاعلا عاطفيا وفكريا ونفسيا وطبيعي أنه من الصعب أن توجد بين أنفسنا وشخصية من الشخصيات التي لم نعرفها ولم نفهمها نوعا من التعاطف، ومن هنا كانت أهمية التشخيص في القصة، فقبل أن يستطيع الكاتب أن يجعل قارئه يتعاطف وجدانيا مع الشخصية يجب ان تكون هذه الشخصية حية. فالقارئ يريد أن يراها وهي تتحرك، وأن يسمعها وهي تتكلم. يريد أن يتمكن من أن يراها رؤية العين. وهناك نوعان من الأشخاص، النوع الجاهز الذي يبقى على حاله من أول القصة الى خاتمتها ولا يحدث فيه تغير كياني، والنوع الثاني الذي يتكشف شيئا فشيئا ويتطور مع المواقف تطورا تدريجيا بحيث لا يتم تكوينه الا بتمام القصة (الشخصية المسطحة والشخصية المستديرة) وهنالك ما يسمونه (قصة الشخصية) وهي بخلاف قصة الحادثة تهتم بالأشخاص والمواقف قبل الاهتمام بالأحداث والوقائع، فتركز الأشخاص ثم تختار لهم من الأعمال ما يوافق. وهناك قصة الحبكة وقصص الجو.

٥ـ الزمان والمكان

الزمان والمكان مقياسا الأعمال ولا بد لكل عمل أن يتم في زمان ومكان، ومن ثم فالصلة بينهما وبين العمل صلة ضرورية، ومن ثم فلا بد لكاتب القصة من مراعاة أحوال الزمان والمكان، ومن التقيد بالعادات والأخلاق وفقا لكل زمان ومكان، بحيث تصبح القصة حية، ذات صلة وثيقة بالواقع، وذات قوة ابهامية. وقد يهتم بعض الكتاب للبيئة اهتماما خاصا يجعلونها شخصية رئيسية في القصة، ويحاولون تمثيلها بقوة وروعة.

٦ - الفكرة

الفكرة هي الكاتب نفسه في ما يهدف اليه من وراء قصته، وهي من ثم تقود العمل وتعلله بحيث يصبح الحل ما يريد الكاتب أن يقتنع به القارئ، الا انه اذا تخلى الكاتب عن الفن في سبيل الفكرة، وسير الأشخاص على غير ما تقتضيه أخلاقهم وأحوالهم، فانه يخطئ بذلك هدف الامتاع وناحية الحياة في قصته، وهو اذا أهمل الفكرة وتخلى عن الهدف في سبيل الفن المجرد، فانه يخطئ هدف الفائدة من قصته، ويزج كتابته في عالم من الفراغ واللاشيء، وذلك أن الفن متعة وفائدة، لا تقوم الواحدة بمعزل عن الأخرى، غير أن الفكرة يجب أن تنساب في القصة انسيابا خفيا خفيفا فيستخلصها القارئ استخلاصا ولا يصرح بها الكاتب تصريحا.